خاتمة

الواقع يثبت لنا دائما كأمر مسلم به أن الفكر الانسانى فى تدفق مستمر وأن قطبى حركة التأثير والتأثر متلازمان وهذا أمر لا جدال فيه ، وسيظلان هكذا مادام الانسان حيا .

الماضى لابد أن يؤثر فى الحاضر ، والحاضر دون شك لم يأت من فراغ بل أخذ من الماضى كأساس يرتكز عليه ، والحاضر يحاول دائما التنبوء بالمستقبل ، وبالتالى تستمر حركة وصيرورة الحياة ، ومن ثم فلا يمكن ان يخلو الكون من الحركة ، وذلك واضح فى الأشياء المتحركة من حولنا ، ولكن لابد من وجود شىء ثابت على الجانب الآخر الموازى للحركة تماما ، وذلك ما نكتشفه عن طريق الأفكار العقلية المجردة ، ولما كان للحركة والثبات فى الكون دورهما البارز فى الفكر اليونانى القديم فقد حاول الباحث دراسة وتحليل هاتين الظاهرتين .

فكانت للفلاسفة نظراتهم العقلية المجردة فى دراستهم لهذه الظواهر التى ربما تختلف عن نظرة العلماء عند بحثهم لأى ظاهرة ، لأن اعتمادهم يكون فى الغالب على التجريب والافتراض والاستدلال .

وان كان كل من الفلاسفة والعلماء يسلك فى دراسته للظواهر الكونية مسلكا خاصا الا أن اهتمامهم فى النهاية ينصب على تحقيق هدف واحد ، وهو معرفة مبدأ هذه الحركة وما هو الشىء الثابت الذى يكمن وراءها .

وقد تمكن الباحث من توضيح اتجاهات المفكرين من فلاسفة اليونان قبل سقراط وأفلاطون وأرسطو وآرائهم وأفكارهم عن الحركة والثبات فى الوجود ، سواء كان هذا المبدأ ماديا أو روحيا مستترا ، أو معنويا ، فكان قول طاليس بالماء ، وانكسمانس بالهواء ، وهيراقليطس بالنار ، وذرات ديمقرطيس كمبادىء أولى يكمن بداخلها مبدأ حركة وسكون كل شىء فى الكون ، وكلها عناصر وأصول تركيبية تؤدى الى تجاذب وتآلف ، أو تقارب وانفصال ، أو تكاثف

وتخلخل ، أو اقتراب وفناء .... الخ . وأشكال تتخذها الكائنات والجمادات داخل تلك الطبيعة . فكان للحركة والثبات تأثيرهما الواضح على قطبى الفلسفة اليونانية وهما أفلاطون وأرسطو .

وقد تأثر أفلاطون بالصيرورة والحركة عند هيراقليطس ومثلها لنا فى العالم الحسى عالم الكثرة والحركة ، وبارمنيدس وثباته الدائم ، وهذا ما تأثر به أفلاطون فى قوله بعالم ثابت واحد لايتحرك وهو عالم المثل . وهذا العالم المادى ما هو الا نسخة مشوهه تحاول تقليد ذلك العالم (عالم المثل) .

وكان تأثير الفيثاغوريين على أفلاطون فى قولهم بأن العالم عدد ونغم فاعتبر أفلاطون أن الواحد المفرد يوجد فى عالم المثل ، عالم الثبات ، وهذا الواحد يصبح متعددا وكثرة فى عالم الحس على اعتبار أن هناك مثالا واحدا لكل شىء ، فمثال الانسان فى عالم المثل هو مثال واحد ثابت لا يتحرك ، أما كل البشر فى العالم الحسى فما هم الا نسخ متعددة تحاكى او تقلد هذا المثال ، وبالتالى تحاول التخلص من ماديتها بهدف الوصول والتشبه بهذا المثال الثابت ، فقد كانت الأرواح عند أفلاطون موجودة فى عالم المثل فى صحبة الآلهة تعيش منعمة مكرمة قبل حلولها فى البدن بارتكابها اثاما ، فهبطت الى الارض عقابا لها لتكفر عن فعلتها هذه ، وفى هذا تأثر بعقيدة التناسخ عند الفيثاغورية .

وقد أبرز لنا أفلاطون الحركة فى اطار فلسفته بين الجدلين ، الصاعد والهابط والعكس وتمثل هذا الديالكتيك فى تغير وحركة الأشياء والكائنات ، فمنها ما يحاول الوصول الى عالم المثل ، عالم الثبات والوحدة ، وفى قمته مثال الخير ، ومنها ما هو أدنى من ذلك فليس له سوى الهبوط فى مدارج الشر .

وبذلك أوقع أفلاطون نفسه فى ازدواجية مفصلة بين العالمين عالم المثل الذى لانعرفه سوى بالعقل المجرد فهو عالم غير محسوس أو مرئى لايتحرك وآخر محسوس متحرك فكانت أزمته فى كيفية المشاركة بين هذين العالمين وهما على النقيض تماما ، ولما كان العالم

المحسوس نسخة مقلدة كما يرى أفلاطون وهذا العالم متحرك فكيف يكون ذلك ؟
أليس من الغروض ان يكون هذا العالم ثابتا أيضا على اعتبار انه صورة من عالم المثل ؟

لقد وضع لنا أفلاطون عالما مثاليا ولكنه لم يوضح كيف ان هذا العالم المادى يشبهه وكيف نشأت الأشياء عنه وهو الأصل للعالم المحسوس ، فكان يعوزه ان يوضح العلاقة بين هذين العالمين .

ان تفسير أفلاطون للمثل لايبدأ من عالم المثل ذاته ، ولكنه يبدأ من عالم الحس بجزئياته المادية ، فنحن نكتشف مثال الجمال من خلال تطلعنا ورؤيتنا للأشياء الجزئية المحسوسة التى تحمل مثال الجمال عن طريق الجدل الصاعد والنازل .

لقد اعتبر أفلاطون ان مثال الخير هو كمال الكمال على اعتبار أنه فى قمة عالم المثل الذى افترضه أفلاطون علة للوجود .

أما أرسطو فكما يقال أنه أنزل الفلسفة أفلاطون من السماء الى الأرض فلم يعترف بالعالم المثالى عند أفلاطون ، ولكنه رأى أن المثال عنده متحقق فى العالم المحسوس ، فهذا بمثابة الصورة التى تعطى الشىء تحدداته التى توضحه ، أما المادة المحسوسة أو الهيولى كما سماه أرسطو هى وجود من نوع ما ولكنها لم ترق لدرجة الصورة فى الوجود وهى على استعداد باستمرار لاستقبال الصورة بما فيها من قوة تكمن بداخلها تدفعها دائما للحركة ناحيتها ، ولكن كلاهما مفتقر للآخر لا يستغنى عنه وهذه القوة لاتخرج الى الفعل الا اذا كان هناك شىء آخر بالفعل كان سببا فى ذلك ، كبذرة الانسان فهى بذرة بالفعل ولكنها رجل بالقوة ، فلا توجد هذه البذرة الا اذا كان هناك انسان بالفعل كان سببا فى وجودها .

ومن المعروف أن أرسطو هو فيلسوف الحركة ، فاذا تحرك شىء فلابد من آخر يحركه (ايمانا منه بمبدأ السببية) واذا تحرك ذلك الآخر فلابد من ثالث حركة ولايمكن أن نصل الى مالانهاية عن مصدر الحركة ولكن لابد اننا سنتوقف عند محرك أول يحرك ولايتحرك

وهو الله أو المحرك الاول عند أرسطـو .

أعطى أرسطو الصورة صفات أشبه مايكون بالمثال الذى اعترض عليه عند أفلاطـون ، فرأى ان الصورة لاتخالطها مادة ، أى أنها صورة مجردة عن كل حس وهذا تقريبا هو مثـال أفلاطون ، فيرى أرسطو انه لايمكن ان نتصور وجود مادة بدون صورة ولا صورة بدون مـادة الا فى حالة واحدة وهى الله وهذا تقريبا هو المثال الأفلاطونى فهو صورة بلا مادة ، فهـو منزه عن المادة ، وتتحرك الاشياء نحوه شوقا وعشقا دون ان يتحرك هو ، وهذا ايضـا نفس ما رآه أفلاطون من قبل ان عالم الحس يحاكى عالم المثل محاولا التشبه به .

ان اله أرسطو ثابت لايتحرك ولكنه فقط يحرك ثم يقع بعيدا عن هذا العالم لايشغلـه فى شئ ويكون شغله الشاغل هو التفكير فى ذاته ، أو فى ثباته الدائم ، وهذا أيضا هو مثال أفلاطون ولكن اله أفلاطون هو الصانع والمحرك والراعى ، لكل شىء فى العالم .

عند ما يتكلم أرسطو عن اللذة كأنه يتكلم عن الخير الأفلاطونى فهو متأثر به فهى عنـده تحصيل كمال الفعل بالنسبة للكائن الحى ، وهى (اللذة) فى مديئه عالية تعلو كـل المراتب وكأنها الخير الموجود فى قمة عالم المثل عند أفلاطون ، ولذلك فرأيه متناقـض ، لأنه اعتبر ان اللذة متمثلة فى الثروة والجاة والشهوات ، ثم يحاول من ناحية أخرى أن يسمو لها فوق كل هذا ويجعلها خالية من الحركة وهى فى سكون تام مطلق اى انها كمال ليس فيه اى اثر للقوة ، وهذا الامر لايتحقق الا فى الحياة النظرية (العقلية) .

كان لأرسطو نظرته المختلفة للجوهر عند أفلاطون فقد رأى أفلاطون ان الجواهـر الطبيعية الموجودة فى الكون تحاول ان تحاكى وتتشبه بالجوهر الاعلى فتتخلص من مادتهـا شيئا فشيئا حتى تتشبه به عن طريق حركة الصعود والهبوط حتى تصل الى نهاية المحاكـاة فتحل به (أى بعالم المثل) اما الجوهر الالهى عند أرسطو فهو الجوهر والعلم الأسمى الذى لايصل اليه العلم الانسانى ، لأن الجوهر الالهى ليس فى حاجة اليه ، على خـلاف الجوهر الشخصى فتحققه مرتبط بوجود المادة فى الخارج فالتمثال مثلا يوجد بدون الحجر ،

الذى يصنع منه ، أما الله فهو صورة خالصة وهو ليس بمادة أى أنه فعل محض ، على عكس الموجودات الاخرى التى تشخصها المادة التى تعتبر مقوما للصورة ، فتظل فى حركة مستمرة الى ان تصل الى تمام الفعل بعد قبولها للصورة ، فالصورة بما انها فعل خالص فهى أشرف واكمل من الصورة الاخرى التى توجد فى الجوهر المشخص ، المكون من مادة وصورة ، ولم يقصد أرسطو بالصورة ، أى الشكل الذى يحدد الشىء فقط بل ان هذا الشكل هو الذى يميزها أيضا عن غيرها من حيث الصفات من جمال أو قبح او ثقل اوخفه ... الخ .

الحركة عند أرسطو أزلية قديمة وأبدية متصلة دون انقطاع ولاانفصام اولا فساد ومثلها فى ذلك مثل المحرك الأول .

ان اهتمام أرسطو الزائد ونقده ميتافيزيقا أفلاطون جعله كمن يبحر على ظهر زورق فى بحر لجى عظيم الامواج ونفس مجدافه لأن كل همه ان يظهر فوق هذه الأمواج العالية وهو يفتقد الى التجربة والعلم الكامل ، والاختبار فكان كل ماتركه لنا من علم الطبيعة ماهى الا انتقادات لفلسفة استاذه يصعب علينا فهمها ، ولكن مايحمد له ، هو دقته فى الملاحظة والتنسيق لميتافيزيقا أفلاطون جعلته يتحول فى كل العلوم ، فغاص الرجل فى مقدمات واسعة فى ميدان واسع بلاحدود جريا وراء استنتاجات ارتقت بالفلسفة اليونانية ووضعتها فوق ربوة فلسفية عالية ، وكل هذا يعوزه التناسق والترابط ، حتى كادت أن تخنقنا الحقائق المبعثرة فوقفت عقولنا حائرة فى مفترق الطريق لاتعرف اين السبيل ، فكانت الفوضى والبلبلة التى ينقصها الفكر الموحد المتناسق وهذا غالبا ماينطبق على معظم فلاسفة اليونان وكان شغل أرسطو الشاغل هو نقد استاذه ولكن هيهات ، فرغب أم لايرغب فبصمة أفلاطون وتأثيره واضح على فلسفته مهما حاول الهروب منها .

من المؤكد أن أفلاطون وأرسطو ، وفلاسفة ماقبل سقراط كان لهم جميعا أثر بعيد فى الفكر الغربى بأكمله ، بل وكل عصور الفكر المتلاحقة [1] .

---

(١) أ . أ . تيلر ــ أرسطو وفلسفة المنطقية والطبيعية والميتافيزيقية ــ ترجمة د / محمد زكى نوفل ــ مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٥٤ ــ ص ٨٤ .

أما عن تأثير أفلاطون وأرسطو وفلاسفة ماقبل سقراط فقد حاول الباحث عرض وايضاح هذا التأثر اثناء البحث وفى سياقه ، واقع الامر يثبت ان قطبى حركة التأثر والتأثير متلازمان ، وسيظلان هكذا مادام الانسان حيا ، فالماضى لابد ان يؤثر فى الحاضر ، والحاضر يحاول التنبوء بالمستقبل ، وتستمر بالتالى حركة وصيرورة الحياة ، ولكن ثبات الحياة نفسها سيدوم وكل ما هو متحرك لابد من آخر يقف خلفه ومن ثم فلا يمكن ان يخلو الكون من الحركة أو الثبات ولو لبرهة واحدة فهما وجهان لعملة واحدة ، وفى النهاية نستطيع القول بأن الحركة دائمة فى الوجود ، وأنه يمكن الثبات فى بعض الاشياء الا أنه فى حقيقته حركة مستترة تبرز فى صورة ثبات ، ولذلك يمكن القول بأن الثبات فى ماهيته وصورته نسبى ، وكذلك الحركة ايضا نسبية ، فلا توجد حركة شاملة لايتخللها ثبات ، ولا يوجد ثبات كلى لايتخلله حركة ، ولقد كان لفكرة الحركة آثارها الفعالة البعيدة على الرواقية والماركسية ، وفى هيجل فى العصر الحديث .

فى حقيقة الأمر يعد أفلاطون وأرسطو ومن قبلهم طفرة فى تاريخ الانسان والحياة البشرية ، بأفكارهم العلمية او الفلسفية التى حولت مجرى حياة الانسان من الجهل الى الفكر والعلم ، ولو بصورة أولية ، والدافع ان عصر أفلاطون وأرسطو قد وصلت فيه الفلسفة الى أوجها أو عصرها الذهبى ولم يعهد أى عصر من العصور التالية بعدهم هذه الثورة الفكرية العظيمة .

ان الحركة والثبات فى مفهومهما وماهيتهما وصورتهما سواء عند أفلاطون وأرسطو ، أو عند غيرهم من العصور المتلاحقة والمتتابعة لتحتاج دائما الى دراسة وتحليل وتحقيق ، فى كل المجالات الفلسفية أو العلمية أو الدينية . وسيظل الانسان يبحث وينقب فى كل مجالات الحياة ما امتدت الحياة به وسيبقى علمه دائما وأبدا كنقطة فى محيط ، .

كانت هذه محاولة الباحث التعرض لقضية الحركة والثبات الذى امتد أثرها على مر العصور . وانى لأعتذر عن أى نقص فى هذا العمل وحسبى أنى حاولت ، والله أسأل ، وعلى الله قصد السبيل .

الباحث ،